الوظيفة السياسية في ديوان أهل البيت(عليهم السلام) للدكتور الصغير

الأستاذ المساعد الدكتور
عقيل عبد الزهرة مبدر الخاقاني
الباحث
محسن علي حسين العرباوي
جامعة الكوفة - كلية الآداب

الوظيفة السياسية في ديوان أهل البيت(عليهم السلام) للدكتور الصغير

الأستاذ المساعد الدكتور
عقيل عبد الزهرة مبدر الخاقاني
الباحث
محسن علي حسين العرباوي
جامعة الكوفة - كلية الآداب

المقدمة

لم يكن الشعر السياسي مستقلاً بذاته في ديوان أهل البيت (عليهم السلام) ، وإنما جاء مقترناً بالشعر الوطني ، فالشاعر إذا ما تكلم في قضايا الوطن فإنه – في كثير من الأحيان – يجد نفسه بالضرورة متحدثاً عن السياسة ، على أنَّ الوطنية تعني حب الوطن والدفاع عن قضاياه المصيرية وآمال شعبه ، لذا يقع الشعر الوطني – غالباً – في دائرة الشعر السياسي ، وما يتصل بشؤون الحكم .

وهذا لا يعني أنَّ الشعر السياسي يخلو من الوجدان ، بل إنَّه ((غالباً ما كان يتفجر عن عواطف تجيش في صدر الشاعر فيقذفها على لسانه ، لتعبِّر عن وجدان شخصي ، وتهدف إلى إثارة استجابة آنية ، أكثر من خلق شعور بالمسؤولية الشخصية))[1] ، فالشعر السياسي وليد العاطفة التي هي أساس الشعر الوطني،والشاعر لسان حال قومه ، ينتفض إذا واجهت البلاد أخطار الاستعمار الذي يحاول طمس هوية الشعب والقضاء على حريته .

ويمتد تاريخ الشعر السياسي إلى العصر الجاهلي إذ ((.... كان وسيلة مهمة من وسائل التعبير التي تناولت السياسة منذ العصر الجاهلي فقد كانت القبيلة العربية آنذاك أشبه ما تكون بالصورة المصغرة للدولة ....))[2] ،

فالشاعر لسان قبيلته في الحرب وفي السلم ، وبذلك جعل الشعراء شعرهم السياسي تابعاً لأغراض القبيلة ، لا لذات الشاعر الذي ((يعتمد اعتماداً كبيراً على وجهة نظر مشتركة بينه وبين الجمهور،ويتحدث عادة حول مواضيع يعتبرها الجمهور عزيزة على نفسه أو مقدسة))[٣] ، ولاسيما إذا لامست هذه الموضوعات وطنيته وكرامته ، ((... ومهما يكن من أمر هذا الشعر فإنَّه كان عدسة تلتقط في معظم الأحيان صوراً مختلفة لتلك الظروف والأحوال السيئة ...))[٤] ، وبذلك اتجه شعراء العصر الحديث اتجاه الشعراء القدامى ، ((وكأنَّهم أعادوا لنا سيرة الشاعر الجاهلي القديم حين كان ينكر نفسه في أشعاره ويتغنى بأحاسيس قومه واهوائهم في الحب ، وفي الحرب ، فنفسه لا تهمه ، وإنما يهمه التعبير عن قبيلته واسترضاؤها))[٥] ، وقد كان للعاطفة اثر كبير في توجيه الرأي العام واستنهاض الجمهور ؛ لذلك ((تحدَّثَ النقاد كثيراً عن العلاقة بين العاطفة والشعر ، وقد اتفقوا على ربط الشعر بالإحساس ، والشعور بالعواطف ، وأجمعوا على أنَّ الشاعر أشد الناس انفعالاً ، وأرهفهم حساسية ، وأعمقهم نفاذاً في صميم الأشياء ، وأقدرهم على التعبير عن تجربته وانفعالاته بنوع من الأداء الجميل))[٦] ، والشاعر قد تناول الأحداث السياسية التي مرَّ بها العراق آنذاك ، وعرَّى الحاكمين المخادعين ، وبيَّن حقيقتهم ، وهذا لم يكن من عنده مباشرةً ، ((بل كان السيد محسن الحكيم (قده) يشجعه بحرارة وتأييد مطلق ، ويأمره بالشعر ؛ لنشر الوعي الديني ودعم الفكر الإسلامي ، ومجابهة الممارسات اللاآنسانية))[٧] ، فضلاً عن الشعر السياسي والوطني :- ((فقد كان للمرجعية آنذاك نصيب من أوقاتها للأبعاد السياسية))[٨] ، والشاعر قد عاش الأحداث المريرة التي مَرَّت بالعراق أيام فوضوية الأحزاب،ولاسيما الشيوعية ، وله معها تجربة واقعية عميقة ، وقد أسهم - من خلال شعره - في الكشف عن هذا الواقع المرير للشعب الذي يشكو من التخلف والقمع السياسي ، وقد امتدت هذهِ التجربة

إلى خارج حدود الوطن ، بل امتدت إلى قضايا الأمة ، ولاسيما القضية الفلسطينية ، والعدوان الثلاثي على مصر ، وغيرها من أحداث ؛ لذلك جاء شعره نابضاً بقضايا الأمة ، فضلاً عن قضايا بلده ، وتتابع الأحداث فيها ، مدافعاً عن وطنه ، والبلاد العربية ، فكان الشاعر يواجه الصعوبات ويدفع ضريبة دفاعه عن وطنه ومبادئه بالمطاردة من الجهات الأمنية تارة وبالحبس تارة أخرى .

ومن ذلك قصيدته التي مطلعها : (الكامل)

سيَّرت كوكبة من اللألاءِ وسكبتَ فجر البعث والإسراءِ

التي أثارت حفيظة الرئيس عارف ، وقد اعتقلته مديرية الأمن العامة وأحالته لمحكمة أمن الدولة بتهمة التآمر على سلامة الوطن ؛ فكان للتظاهرات الطلابية دور بارز في إذكاء شرارة الإنتفاضة التي إضطرت معها الدولة إلى إطلاق سراح الشاعر بكفالة إلى حين المحاكمة))[٩] ، وقد وظَّف الشاعر أداءه البياني في خدمة القضية الفلسطينية في هذهِ القصيدة ومنها قوله :

هذا التُّراثُ الضَّخْمُ عادَ لمَطامعِ السَّارينَ في الظلماءِ[١٠]

وهنا يمزج الشاعر بين حرارة الشكوى ، والألم النفسي ، حيث الحسرة على تفريط المسلمين بمجدهم الذي بناه الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله وسلم) بجهاده وكفاحه ، حتى صنع أعظم أمة وأعظم حضارة أشار إليها الشاعر عبر كنايته بـ (التراث الضخم)،وقد أردف هذهِ الكناية بكناية أخرى عن (اليهود) في عجز البيت ، وبهذا حاول الشاعر أن يربط بين مخططات اليهود في القضاء على الإسلام قديماً وبتحقيق هدفهم في الوقت الحاضر بالاستيلاء على أرض فلسطين المقدسة ، وبذلك أسهمت هذهِ الإستعارة في تجسيد مجد الأمة ، الذي أصبح غنيمة لليهود ، بإظهار الألم النفسي،والحسرة على ضياع جهود المسلمين ، وعدم المحافظة على أرضهم،وأصبحوا فريسةَ لمخططات الاستعمار واليهود .

ثم يعود الشاعر لفضح سياسة العملاء والمتآمرين ؛ لخنوعهم وخضوعهم لمخططات اليهود .

إذ يقول :(الكامل)

حاشاكَ أنْ تَرْضَى بما فَعَلَتْ يَدٌ جَذَّاءُ في تاريخِنا البَنَّاءِ

ما كُنْتَ عُمْرُكَ بالمُهادِنِ عُصْبةً إلَّا بتهْجيرٍ لَها وجَلاءِ[١١]

الخطاب موجه لرسول الله (ﷺ) على سبيل الشكوى ، لفضح سياسة العملاء المتآمرين على الإسلام والمسلمين ، إذ جاءَ الشاعر بالكناية (يد جذَّاء) تعبيراً عن احتقار أعمالهم ، وإظهار هذهِ الأعمال بالصورة القبيحة ، كي يفهم المتلقي أنَّ السبب ليس في الإسلام أو في شريعة المصطفى (ﷺ) ، وإنما بالخائنين من المسلمين الذين يحاولون تشويه صورة الإسلام بهذهِ الأعمال مُذَكِّراً إياهم بسيرة الرسول(ﷺ) مع اليهود الذين كَنَّى الشاعر عنهم بـ (عصبةً) فاليهود معروف عنهم نقضهم للعهود والمواثيق ، وقد نقضوا عهودهم مع الرسول (ﷺ) ، وفي هذهِ الصورة يبيِّن الشاعر أنَّ المتآمرين من العرب الذين سمحوا لليهود بالإستقرار في فلسطين بعقد الاتفاقات والهدن فيما بين المسلمين واليهود ، قد انحرفوا عن سنة رسول الله (ﷺ) ، وهذا الانحراف هو انحراف عن الدين الإسلامي ، بهذا تكون هذهِ الكنايات قد أدَّت وظيفتها السياسية، فهي تختصر الأحداث بأقل الألفاظ لأوسع المعاني والدلالات ، فالقضية الفلسطينية محط اهتمام الشاعر فكثيراً ما يذكرها،وكثيراً ما يحمل همومها ، ويدعو العرب معاً للدفاع عن فلسطين واستردادها ، ويُحذِّر إسرائيل من يوم الخلاص الذي سيأتي لِيُنقذ الأرض المقدسة من دنس الصهاينة.

ويقول الشاعر : (الكامل)

فنذارِ إسْرائيلِ مِنْ هِممِ الرَّدى فسَتُدهمينَ بأيِّ سَيْلِ

إنَّ الروح الوطنية والغيرة على بلاد المسلمين والعرب ، ولاسيما الأرض المحتلة ، قد حملت الشاعر على أداء بياني يقوم على ألفاظ الترهيب ، فـ (السيل المزبد) صورة ترهيبية ووعيد جارف ، فهو من باب أسباب الإهلاك الدنيوي ، والشاعر من أجل التحرير لا بُد له من أداء بياني ينذر بالهلاك للمحتلين وعمل عملاق وشجاع لتصدير الموت وتفجير السيل المُدمِّر ، فالغضب في هذا البيت يقترن بالثقة من انتصار المسلمين على اليهود واسترداد فلسطين ، وتتنوع الصورة التوليدية من الوظيفة السياسية ، فهناك الصورة الترهيبية بمظهر بياني ، يُصَوِّر فيها الشاعر الوعيد بالثورة ضد الطغاة لتحقيق الحرية والكرامة ، ومنها قوله : (الكامل)

وسَيَعْـــــرِفُ المُسْتَـــــأجرُونَ في قَتلِ تلكَ الحَيَّةِ الرَّقْطاءِ[١٣]

فتشبيه الشاعر لليهود بالأفعى السامة ، يُعطي بعداً سياسياً لخطورة هذا العدو المشترك، فالأفعى لا تحمل سوى السم ، وكذلك اليهود لا يحملون سوى القتل والتدمير للإنسان ، فالوظيفة السياسية أنتجت هذه الصورة الغادرة المتربصة للعدو ضد الإنسانية ، كي تتوحد العزائم والكلمة للخلاص من هذا الخطر ، وتهديد العملاء بالثورة الكبرى عليهم ، وخلاص الشعب منهم ، وليبيِّن الشاعر الارتباط الحقيقي والمصيري بين اليهود وعملائهم من النفعيين ، وإنَّ هلاك العملاء رهن بهلاك ساداتهم من اليهود . ويستمر الشاعر في الوعيد بالثورة والكفاح من أجل فلسطين .

إذ يقول : (الكامل)

وسَتَسْتَمِرُّ تَهُزُّهُمْ طاقاتُنا فيَرَوْنَ عاقبةَ المَصيرَ الأسْوَدِ[١٤]

إنَّ الوعيد بالثورة جعل الشاعر يستمر باستعمال (سين الاستقبال) ، فالتهديد السياسي جاء بمظهر بياني ، والمجاز أعطى قوةً تعبيرية ببيان وحدة المجاهدين وعدم يأسهم من كفاحهم ، وهنا اعتراف ضمني لدى الشاعر بخطورة العدو المشترك ، فالصورة الشعرية توحي بقوة المواجهة الكلية من

المسلمين وتحشيد جميع قواهم ، لِتَهزّ كيان اليهود حتى يتضعضع كيانهم ، ويرون اليهود عاقبة مصيرهم البائس ، وكثيراً ما يستعمل الشاعر اللون (الأسود) في بيان العاقبة المخزية للأعداء ، للدلالة على حصاد أعمالهم ، واخبار المتلقي بأنَّ عاقبة الظلم هو الظلام وأنَّ المظلوم سينتصر وإن طال بهِ الزمن . وينتقل الشاعر بتصوير مآسي شعبه العراقي وخلق صورة الخراب السياسي الذي حلَّ بالبلد ، من ذلك قوله : (البسيط)

فقدْ تَمادَى بنا الطُّغْيانُ وانْفجَرَتْ هَوَجُ العَواصِفِ بالأشْجانِ تَغْزونا[١٥]

إنَّ إظهار حالة الضعف والانهيار السياسي ، وعدم الإستقرار تجعل الشاعر يلجأ إلى ((وسيلة التأثير في الجمهور باستعمال أحد العناصر البيانية ، ومنها الإستعارة))[١٦] ، لأنَّ حقيقة الطغيان لا يُولِّد سوى الهلاك وأنَّ العواصف في حقيقتها لا تخلف سوى الخراب الذي يبعث على الشجن والحزن في الإنسان ، وهذهِ الصورة هي أقرب إلى الواقع ، والشاعر باستعماله الإستعارة في هذهِ الوظيفة ؛ ((كي تخبر الجمهور شيئاً جديداً عن الواقع ، فلها أكثر من قيمة انفعالية ...))[١٧] ، والتفاعل غالباً ما يحدثه الصوت البكائي ، أو الألفاظ المُعَبِّرة عن مأساة البلد ، فالفرد بطبيعة حاله يكمن في وجدانه حب الوطن ، والارتباط الروحي لهُ ، وهو بهذا لا يقبل أن يشكو حبيبه من الضيم ، والهوان .

ويقول الشاعر في موضع آخر لتصوير تتابع البلايا على بلده وما صاحبته من دمار له قوله : (الكامل)

ما إنْ قلَعْنا الغَرْبَ عَنْ أوطانِنا مِنْ بعدِ طُولِ تَجَمُّعٍ وتَحَشُّدِ

حتَى دَهَنا الشَّرْقُ في سَرَطانِهِ بمُصَوِّبٍ مِنْ كَيْدِهِ ومُصَعِّدِ[١٨]

إن الوظيفة السياسية منحت الأداء البياني في هذا النص مظاهر نفسية حادة في اختيار الألفاظ ومعانيها ، وشعور الشاعر بوحدة بلده ، وصراعه المرير مع القوى الغربية ، والقضاء على وجوده في البلاد ، واختيار لفظة ((

القلع)) بتعبير مجازي تُعطي انطباعاً للمتلقي بطول المرارة والألم التي عانى منها الشعب بوجود المحتل في بلاده وكفاح الشعب الطويل حتى استراح منه وطرده . والشاعر يصوِّر بلده بعد طرد الغرب ، كالإنسان المعافى بعد طول المرض ، ولكن لم يهنأ هذا البلد بصحته، حتى أصابه أخطر مرض من أقرب البلدان له ، فقد أسهم التشخيص في هذهِ الاستعارات بنقل خلجات النفس المتألمة على البلاد إلى الجمهور بمشاعر يملؤها الحزن والأسى من الواقع السياسي المفروض على البلاد . ويفرض الواقع السياسي على الشاعر نقد سياسة الحكام وتسلطهم في البلاد .

إذ يقول : (الكامل)

يا شَعْبُ هاكَ مِنَ الرِّجالِ نماذجاً يَتَلَوَّنُونَ تَلَوُّنَ الحَرْباءِ[١٩]

فقد طوع الشاعر أدائه البياني في خدمة الوظيفة السياسية ، وهو يهدف من خلاله إلى إظهار الصورة الحقيقية للحكام والساسة في بلاده ، فالتشبيه المؤكد أعطى انطباعاً واقعياً عن السلطة آنذاك ، فالمتنفذون يظهرون خلاف ما يُبْطِنون حالهم حال الحيَّة التي تتلون ، وهذا التلون في كيانها حقيقي وليس مصطنعاً ، بحسب ما تملؤه الظروف المناخية عليها للدفاع عن نفسها أو للوصول إلى فريستها مثلاً ، وكذلك حال رجال السياسة الذين يؤدون دور المنافق بمواقفهم المتناقضة من الشعب ، فهم يرضخون تحت إرادة الشعب إذا ما واجهوا خطر المواجهة من الثوار ، حتى إذا ما سيطروا تراهم أفاعي يبثُّون سمومهم للقضاء على الشعب ، وتصوير حال الساسة بمثل هذا التصوير من شأنه أن يسهم في إيقاظ الجماهير ، وتنبيههم على الأخطار المحدقة بهم ((حتى يتمكن بذلك من أن يجعل من قوة التعبير الفني وسيلة فعالة في تنبيه النفوس إلى حقيقة واقعها ، وتوعيتها بمصيرها))[٢٠] ، وبخاصَّة أن الشاعر يعيش التحولات الخطيرة في الحكومات على الصعيد السياسي وتلاعب الاستعمار بمقدرات الشعوب، بوساطة الحكام العملاء .

وندَّدَ الشاعر بسياسة النفاق التي يمارسها الساسة صراحةً ، إذ يقول : (الكامل)

ومُنافقينَ على النِّفاقِ تَمَرَّسُوا وتَعَوَّدُوا ، فكأنَّهُ اسْتِمْتاعُ
لَزِمُوا النِّفاقَ عَقيدةً وشَريعةً فلَهُمْ لِواءُ حَوْلَهُ وشِراعُ[٢١]

إن تأكيد الشاعر على لفظة (النفاق) ، وتكرارها في هذا النص تكشف عن الواقع السياسي المؤلم ، بأداءٍ بياني يخدم الغرض الذي يسعى الشاعر إلى تحقيقه ، ويبدو أنَّ الشاعر يريد من المتلقي الوقوف على كلمة (النفاق) ليبِّين جذوره في نفوس هؤلاء المنافقين المتلاعبين بمقدرات الشعب ، وكان لتكثيف التشبيه بنوعيه أثره في خدمة الوظيفة السياسية لمعرفة الشاعر بـ ((تأثيره النفسي والعقلي فإنه ينتقل بالإنسان من أُفق إلى أُفق ، ويتخطى بهِ من مناخ إلى مناخ ....))[٢٢] ، ويبدوا أنَّ الشاعر يريد أن يبيِّن للمتلقي من خلال اختياره ألفاظ العقيدة والدين أنَّ النفاق متجذر في نفوس هؤلاء الساسة ، فكما أنَّ الإنسان يولد ودينه يولد معه بالفطرة مهما يكن هذا الدين ، فكذلك حال هؤلاء المنافقين ، فقد وِلِدَ النفاق معهم ، وكأنه دينهم الذي يعتقدون بهِ ، ويحيون لأجله ، ويموتون دونه ، فالشاعر هنا نقل المتلقي المخدوع بهؤلاء الناس إلى أُفق الحقيقة التي يبطنونها بأكاذيبهم إذ أصبح النفاق سلوكاً طبيعياً لهؤلاء الساسة ، وقد كَثُرَت في هذا النص الجمل الفعلية المتعلقة بالنفاق (تمرسوا ، تعودوا ، لزموا)، وهذا يدل على خطورة هؤلاء المنافقين ، ((وغالباً ما تتضح الجمل الفعلية في سياق النصوص ذات البث العاطفي الإنفعالي الصادر عن حس وجداني منفعل بحادثة معينة أو واقعة ذات حضور زماني مدهش ومكاني مفاجئ))[٢٣] ، والشاعر هنا ينقل الأحداث، بزمانها ومكانها ، ذلك بأنَّه عاش هذهِ الأحداث لذا نراه يصورها تصويراً دقيقاً ويستمر الشاعر في انتقاده لسياسة الحكام وما آلت إليه تلك السياسات الخاطئة التي كانت من نتاجها خراب الوطن ، وتدمير الشعب العراقي المسلم.

إذ يقول في ذلك : (البسيط)

فـمـوْطِنٌ هَـدَّمُــوا فــي طـائِفِيَّتِهِـمْ وشَتَّتُوا الشَّمْلَ عَنْ حِقْدٍ قد اضْطَرَما

يَنْعى الجَنوبُ شمالاً فيهِ من جَزَعٍ ويَنْدُبُ السَّهْلُ فيهِ البيدَ والأكما[٢٤]

وهنا يرتفع الانفعال النفسي عند الشاعر ليخلق هذه الصورة الرثائية عبر تعانق المجاز مع الإستعارة ، لخلق صورة تشخيصية للوطن الجريح ، فيسكب الشاعر مشاعره الممتلئة بالحزن والأسى ، فالمجاز في البيت الأول أسهم في إظهار الدمار السياسي بسلاحٍ فتاك ، استعمله عملاء اليهود ؛ لغرس بذور الفرقة حتى يسيطروا على البلد ، ويحكموا بسياسة الفرقة والإكراه ، ويستعمل الشاعر لفظتي (النعي ، الندب) ، ليستنطق الوطن بصورة بكائية ، فهذه المشاعر ساعدت الشاعر في التعبير عن وظيفته الوطنية السياسية ، إلا أنَّ الحس المشبع بالحزن والأسف قد أدَّى إلى شيوع رثائية باكية ، وبخاصَّة في وصف الأعمال الإجرامية للساسة المتسلطين وهنا تخلق هذه الوظيفة الشعورية بالمجموع الواحد مقابلة توازي وتوازن بين الفعل ورد الفعل ، فأفعال السلطة اللإنسانية تولد فساداً في الأرض متنوع الظلم والجور ، من هدم وتشتيت ، ودماء وأيتام ، فالوظيفة السياسية غالباً ما تخلق عند الشاعر انفعالاً شعريَّاً بأداءٍ بيانيٍّ لتصوير الواقع وبخاصَّة إذا تعلق الأمر بظلم الحكام ، وهذا هو الأغلب في ديوانه ، والشاعر بهذا التصوير ((.... يكون له وقع تأثير أشد من وقع السيف وافعل في قلوب الناس وعقولهم))[٢٥] ، فالشاعر ملتزم بالتعبير عن الواقع المألوف لدى الشعب ، وشعره إنما يخاطب فيه الشباب المؤمن ليحذرهم من الأخطار المحدقة بهم . ولا يقتصر الشاعر على إسلوب انتقاد الحكام، بل كان مطالباً بحقوق الشعب ، صارخاً بوجه الظلم ، إذ يقول : (البسيط)

فاليوم كالأمْسِ بالثَّوَّارِ مُعْتَمِرٌ يناهضُ الخائنينَ: الرأسَ والذّنبا

ماذا تعدُّونَ مِنْ حَلٍّ لطائفةٍ قد كالتْ الوطن الغالي لكُمْ ذَهَبا

وسَلَّمتَكُمْ زِمامَ الحُكْمِ مِنْ دَمِها والَنِّفْطَ - والأصْفرَ الرَّنَّانَ - والذّهَبا

يربط الشاعر في هذا المقطع بين الماضي والحاضر في صورة بيانية تُعبِّرعن المعارضة السياسية من الشعب ، وطبيعة الحال تفرض على الشاعر أن يستعمل عناصره البيانية في موضعها ؛ فالوظيفة السياسية تجعل أداء الشاعر البياني ينبض بالتواصل الثوري عبر تشبيه المجاهدين اليوم بأبطال ثورة العشرين ، وقد أشار الشاعر إلى ثورة العشرين والقضاء على الإنكليز وعملائهم عبر الصورة الكنائية، بقوله : (الرأس والذنبا) ، فهي ((ترفع من قيمة المعنى البعيد الذي تُشير إليه في نظر المتلقي وتعمل على توكيده في نفسه ....))[٢٧] ، وهنا تتضح الصورة الصادقة عند الشاعر عبر انفعاله العاطفي ((فالشعر وعاء العواطف الإنسانية،والعواطف تبث الحياة في العبارة الشعرية ، وبها يخلد الشعر ما دامت العواطف الإنسانية خالدة))[٢٨] ، والشاعر يوجه خطابه ببعد نفسي ((ويتمثل هذا البعد في الخفاء والستر الذي يصطنع إسداله المتكلم على المعنى الذي يريده أساساً ، مع التلويح له ، والإشارة إليه . إذ أنَّ ذلك يجعل المعنى أوقع في النفس ، والصورة أقدر على إحداث الاستجابة المناسبة))[٢٩] ، وينفي الشاعر - في البيت الثاني - بإسلوب الاستفهام أن يكون ثَّمة حلٌ لما يعانيه الشعب من آلام ، وما يمرُّ بهِ من أزمات، وهو أي الشاعر يحتجُّ مطالباً بحقوق الشعب المستلبة مما يمتلكه من ثروات طبيعية كبيرة ولاسيما النفط ، فضلاً عن النقد السياسي الساخر ليحقق الأداء البياني أغراضه الفنية والنفسية والسياسية في آن واحد.

ولم يكتفِ الشاعر بوظيفته السياسة بذكر فلسطين وبلده العراق ، بل انطلق من مبدأ العروبة والإسلام ، يُحَيِّي البلاد العربية ، ويُعلن انتماءه لها ، فالعروبة والإسلام هو القاسم المشترك الذي يُمكن أن يوحِّد هذهِ البلدان ، للنهوض بوجه الغزو الغربي .

وفي هذا يقول الشاعر : (الكامل)

ما زالَ تاريخُ الشُّعُوبِ كأمْسِهِ ... يَلِجُ الصَّوَابَ نتيجةَ الأخْطاءِ
فتَدَاركُوها وازْحَفُوا بكتيبةٍ ... شَهباء إثْرَ كَتيبَةٍ شَهباءِ
فالقِبْلَةُ الأُولى تُناشِدُ أمَّةً ... مهدَ (المَسيحِ) ومَوْطِنَ الإسراء
يا (قُدْسُ) يالُغةَ الضَّميرِ تَهزُّهُ ... للنازحين مَواكبَ البُؤساءِ
يا (أرضَ سَيْناء) يُعَطِّرُ رَمْلَها ... نَفْحُ النُبوَّةِ مِنْ رُبى سَيْناءِ
وعلى رُبُوعِكِ يا (دمَشْقُ) تحيّةٌ ... خَضْراءُ مثْلُ مُرُوجِكِ الخَضْراءِ
وعَلَيْكِ يا (مِصْرُ) السّلامُ يَزُفُّهُ ... قَلْبي ، وتَنْضحُ شَهْدَهُ أحْشائي
يا مَوْكبَ الشهداء كُلَّ ضَحيَّةٍ ... تَفْنَى ، ويَبْقى مَوْكبُ الشهداء
لبَّتْكَ في (بغدادَ) منَّا أمَّةٌ ... رفعتْ شعارَ مَوَدَّةٍ وإخاء[٣٠]

وهنا يرسم الشاعر لوحة بيانية ، مازجاً بين القديم والحاضر ، إذ يتخذ من الإسلوب الغنائي القومي وسيلة لتحقيق الوظيفة السياسية ، وهذا المسار يسير في ضوء المسار العام للمدرسة النجفية المحافظة ، للتعبير عن الواقع السياسي ، والاجتماعي إذ يوظّف الشاعر أداءه البياني لاستنفار الجماهير ضد مغتصبي أرضهم وحقوقهم،ولاسيما قبلة الإسلام الأولى القدس ، وهو يُذَكِّر الأمة بماضيها التليد وحاضرها ، فالقدس ، ودمشق ، ومصر ، وبغداد ... تناشد هذه الأمة بأن يسود الإخاء وتعم المودة بينهم ، وأن يتوحدوا ليتحرروا من براثن الاستعمار والتخلص من كل مظاهر الفساد ، بالجهاد والزحف نحو العدو بكتائب شهباء . وهذا الارتباط الروحي بين الأمس واليوم يجعل الجماهير تتفاعل مع قضيتها ومطالبتها بحقوقها،والشاعر يدعو إلى الوحدة الدينية فضلاً عن الوحدة الوطنية ، فقد جمع بين الإسلام والمسيح عبر (

كنايتين) ، للدلالة على العمق الحضاري والديني لأرض فلسطين المقدسة ، فالصورة الوحدوية ((... تكون أحياناً تجسيداً للفكرة ، إذ ترمي إلى التعبير عما يتعذر التعبير عنه ، وحتى إلى الكشف عما تتعذر معرفته ، فهي وسيلة من الوسائل المتعمدة التي يتصرف المتكلم بها ، لنقل رسالته وتجسيدها))[٣١] ، ويربط الشاعر تخاذل العرب ، وشجاعة الشهداء عبر صورتين متضادتين ، جاءت بها الكناية ، (مواكب البؤساء) ، (مواكب الشهداء) لبيان تخاذل العرب في الوحدة،والدفاع عن مقدساتهم ، حتى كانت نتيجة هذا التخاذل مواكب كثيرة من النازحين عن وطنهم ، الذي أضفى عليه الشاعر الطقوس الدينية ، فهي المعطرة بعطر الأنبياء والرسالة ، ثم ينتقل إلى دمشق ليلقي عليها تحية خضراء ، إذ شبَّه هذهِ التحية بمروج دمشق الخضراء ، هذا اللون الطبيعي الذي يبعث في النفس البهجة والسرور ، فهو دلالة على دوام الحياة ، والأمل في تحرر الإنسان العربي من العبودية ، ويُعرِّج الشاعر على مصرِ، ليزف إليها السلام عبر المجاز ، إذ يذكر سر الحياة (القلب) ، والمراد كيان الشاعر بأكمله . وهنا يرتقي الشاعر بأدائه البياني معبراً ، إذ يجعل أحشاءه تنضج شهداً ، مخلداً شهداء الأمة وبهذا يحقِّق الأداء البياني – في هذهِ الأبيات – أغراضه السياسية والوطنية والفنية في أوان واحد .

ملخص البحث

تبين لنا أن الوظيفة السياسية في ديوان أهل البيت (عليهم السلام) جاءت معبرة عن الروح الوطنية التي يحملها الشاعر ، متجهاً بذلك اتجاه الشعراء القدامى الذين تغنوا بأحاسيس أقوامهم في الحرب والسلم على حدٍ سواء ، وقد كان للأداء البياني في الوظيفة السياسية أثر فاعل في تعرية الحكام

المخادعين والكشف عن الواقع المرير للشعب العراقي آنذاك ، فضلاً عن تناول قضايا الأمة ولاسيما القضية الفلسطينية والعدوان الثلاثي على مصر ؛ بتشجيع وتأييد من المرجعية العليا في النجف الأشرف آنذاك ، متخذاً من الأسلوب الغنائي وسيلة لتحقيق الوظيفة السياسية ، وهذا هو المسار العام للمدرسة النجفية المحافظة التي تمزج بين الماضي والحاضر بلغة بيانية أصيلة متجددة لم تشعرك بإنفصالها عن التراث ، إذ أن التجديد أصيل في الأساليب اللغوية والبيانية وقد استطاع الشاعر الدكتور الصغير أن يوظف أداءه البياني في تأجيج مشاعر الجمهور واستنفاره ضد الطغاة لإعادة بناء ما تهدَّم ، وإصلاح ما إنثلم بعد التصدع الذي أصاب كيان الوطن والأمة

Abstract

Show us that the function of political office household (peace be upon them) came expressing the national spirit carried by the poet, heading this direction poets veterans who sang feelings among their own people in war and peace alike, was the performance graph in function of political impact actor in erosion rulers phishers and detect the bitter reality of the Iraqi people at the time, as well as addressing the issues of the nation, particularly the Palestinian issue and the tripartite aggression against Egypt; encouragement and support from the foremost authority in Najaf at the time, taking the method lyrical way to achieve political office, this is the general path of the school Al-Najafia maintain that blends between the past and the present language graphic authentic renewed not make you feel splitting from Heritage, as the renewal inherent in the methods and language charts have been able poet Dr. little to hire performance chart in fueling public sentiment and mobilize

the against the tyrants to rebuild what was destroyed, and fix what Anthelm after cracking that struck entity country and the nation

هوامش البحث

١. ظ : الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث ، د. سلمى الخضراء الجيوسي ، ترجمة د. عبد الواحد لؤلؤة ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، ط١ ، ٢٠٠١ ، ص ٢٤٣ .

٢. الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر ، إبراهيم الوائلي ، مطبعة العاني – بغداد ، ١٩٦١ ، ص ١١٧ .

٣. الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث ، ص٦٣٦ .

٤. الشعر السياسي العراقي في القرن التاسع عشر ، ص١٥٠ .

٥. الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور ، د. شوقي ضيف ، دار المعارف ، ط٢ ، (د . ت) ص ١٩٥ .

٦. الاتجاهات الوطنية في الشعر العراقي الحديث ، ١٩١٤ – ١٩٤١ ، د. رؤف الواعظ ، دار الحرية للطباعة ، بغداد ، ١٩٧٤م – ١٣٩٤هـ ، ص٤٠٩ .

٧. ظ : ديوان أهل البيت (ع) د. محمد حسين علي الصغير مؤسسة البلاغ ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٣٠هـ – ٢٠٠٩م ، ص١٠ .

٨. ظ : أساطين المرجعية العليا في النجف الاشرف ، د. محمد حسين علي الصغير ، مؤسسة البلاغ ، ط١ ، ٢٠٠٣م – ١٤٢٤هـ ،ص ١٣٣ .

٩. ظ : المصدر نفسه ، ص ١٥٧ – ١٥٨ .

١٠. الديوان ، ص١٧ .

١١. المصدر نفسه ، ص١٧ .

١٢. المصدر نفسه ، ص٣٠ .

١٣. المصدر نفسه ، ص٢٠ .

١٤. المصدر نفسه ، ص٣٠ .

١٥. المصدر نفسه ، ص٥٨ .

١٦. ظ : نظرية التأويل الخطاب وفائض المعنى ، بول ريكو ، ترجمة سعيد الغانمي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء – المغرب ، ط٢ ، ٢٠٠٦م ، ص ٨٨ .

١٧. ظ : المصدر نفسه ، ص٨٩ .

١٨. الديوان ، ٤٤ .

١٩. المصدر نفسه ، ٢١ .

٢٠. الشعر في إطار العصر الثوريّ ، د. عز الدين إسماعيل ، دار القلم ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٩٧٤ ،ص ١٢ .

٢١. الديوان ، ١٣٨ .

٢٢. أصول البيان العربي رؤية بلاغية معاصرة ، د. محمد حسين الصغير ، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد ، ١٩٨٦ ، ص٦٥ .

٢٣. التنظير والأجراء دراسة في أشكال اداء القصيدة في الشعر العربي الحديث ، د. رحمن غركان ، طبع في مؤسسة بقية الله – النجف الاشرف ، (د . ت) ، ص ١٩٩ .

٢٤. الديوان ، ٩٤ – ٩٥ .

٢٥. الشعر السياسي من وفاة الرسول (صلى الله عليه وآله) إلى نهاية العصر الأموي ، د. حبيب مغنية ، دار ومكتبة الهلال – بيروت ، ط١ ، ٢٠٠٩م ، ص ١٠٧ .

٢٦. الديوان ، ٦٨ .

٢٧. الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، د. مجيد عبد الحميد ناجي ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م ، ص ٢٣٠ .

٢٨. ظ : الصدق الفني في الشعر العربي حتى نهاية القرن السابع الهجري ، د. عبد الهادي خضير نيشان ، دار الشؤون الثقافية العامة – بغداد ، ط١ ، ٢٠٠٧ ، ص ٢٧٤ .

٢٩. الأسس النفسية لأساليب البلاغة العربية ، ٣٠ .

٣٠. الديوان ، ١٩ – ٢٠ .

٣١. الأستعارة في النقد الأدبي الحديث الأبعاد المعرفية والجمالة ، د. يوسف ابو العدوس ، منشورات الاهلية – المملكة الاردنية الهاشمية ، ط١ ، ١٩٩٧ ، ص ٢٧ .